

الشيعة فى مصر - المشاكل - الخلفية التاريخية - نظرة مستقبلية

محمد وجدى

@maktoob.com\serano

الحوار المتمدن - العدد: ٢١٧٠ - ٢٠٠٨ / ١ / ٢٤

أولاً : نبذة عن الوضع الحالى للشيعة فى مصر : -

الشيعة فى مصر .... منع ومحاصرة

فى مصر جملة من إهدار لكثير من الحقوق التى ينضوى معظمها فى خانة الحقوق الأساسية للإنسان، ورغم وجود لحظات تاريخية حديثة شهدت تطور نسبى فى تلك الحقوق فى أربعينيات القرن المنصرم امتدت حتى أوائل الستينات ، إلا أن تلك اللحظات انقضت ليعود الحال بالنسبة للشيعة كما كان فى سياق الحصار العام للمذهب الشيعى .

١ - عدم وجود مراجع أو وكلاء مراجع.

٢ - عدم وجود مساجد..

٣ - ندرة الكتاب الشيعى..

٤ - الضغوط الأمنية..

٥ - التعتيم الإعلامى

ومما لاشك فيه أن إستمرار حرمان هذا التيار والتضييق عليه ومنعة من التعبير عن ابسط حقوق المكفولة لكل جماعة دينية ، يمثل انتهاكاً ليس فقط لحقوق إنسانية تكفلها القوانين الوطنية والمواثيق الحقوقية الدولية وإنما تمثل تراجع عن حقوق كانت ممنوحة لهذا التيار منذ أكثر من نصف قرن مضى .

( المصدر : <http://www.hrinfo.net/hotcase/pr.٤٠٤٢٠.٠٤.shtml> ) .

ثانياً : مفهوم الشيعة والتشيع :-

ص: ١

الشيعة كلفظ ورد في القرآن في تسعة مواضع .. ورد لفظ : شيعة .. وورد لفظ : أشياع ..  
 أما لفظ ” شيعة ” ففي قوله تعالى : ( وإن من شيعة لإبراهيم ) .. ( ١ )  
 وفي قوله تعالى : ( .. هذا من شيعة وهذا من عدوه ) .. ( ٢ )  
 وفي قوله تعالى : ( ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ) .. ( ٣ )  
 وأما لفظ ” شيعة ” ففي قوله تعالى : ( ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ) .. ( ٤ )  
 وفي قوله تعالى : ( .. أو يلبسكم شيعة ) .. ( ٥ )  
 وفي قوله تعالى : ( إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ) .. ( ٦ )  
 وفي قوله تعالى : ( إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا ) .. ( ٧ )  
 وجاء لفظ ” أشياع ” في قوله تعالى : ( ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر ) .. ( ٨ )  
 وفي قوله تعالى : ( وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل ) .. ( ٩ )

وفي الأحاديث وردت في عدة مواضع نذكر منها : قول الرسول وسلم : [ إن هذا - يقصد عليا - وشيعته لهم  
 الفائزون ] .. ( ١٠ )  
 وقوله : [ وسألت ربي ألا يلبسهم شيعة ] .. ( ١١ )  
 وقول الإمام علي في وقعة الجمل : [ قتلوا شيعتي وعمالي ] .. ( ١٢ )

✽ الشيعة في الأحاديث :

ومن هذه الإشارات يتبين لنا أن كلمة شيعة إنما هي قديمة وهي كمصطلح تخص فئة معينة من المسلمين هي  
 الفئة التي اتبعت الإمام علي ووالته وناصرته وهناك إشارات قوية كالحديث  
 السابق ذكره تفيد أن الشيعة كجماعة وكتيار كان لها وجودها في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

تأمل قول الرسول وسلم : .. ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب . وأنا تارك فيكم  
 تغلبين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا كتاب الله  
 واستمسكوا به . فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي . أذكركم الله في  
 أهل بيتي .. ( ١٣ )

فهذا الحديث يشير أيضا إلى أن هناك فئة أو تيار يريد أن ينحرف عن آل البيت . من أجل ذلك قال الرسول  
 وسلم هذا الكلام الذي هو بمثابة وصية لأمته في حجة الوداع ..

وهناك أحاديث أخرى على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم تحدد أن الإمام على هو الفيصل بين الحق والباطل والمسلم والمنافق مثل قول حذيفة : كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله وسلم بشيئين : صلاة العتمة وبغض الإمام على . . ( ١٤ )

يقول أبو حاتم الرازي : أن الشيعة لقب قوم كانوا قد ألفوا أمير المؤمنين على بن أبي طالب في حياة الرسول وعرفوا به مثل سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري

والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وغيرهم . وكانوا يقال لهم : شيعة على وأصحاب على . . ( ١٥ ) إن ما تذكره كتب السيرة وكتب التاريخ أن الإمام على كانت له شيعة متميزة ومعروفة بالأسماء في عهد الرسول وهي الفئة التي تحالفت معه ورفضت بيعة أبي بكر بعد وفاة الرسول وسلم ومن هذه الأسماء غير ما ذكر أبو حاتم : ابن عباس والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن بديل الذي قتل مع على في صفين وعبادة بن الصامت وجابر بن عبد الله وإبراهيم وأبو رافع وحذيفة بن اليمان .

وهؤلاء وغيرهم كانوا من شيعة على من بين الصحابة وجميعهم أصحاب فضل ومكانة ودور بارز في حركة الدعوة الإسلامية .

وما تشيع هؤلاء لعلى إلا لمكانته الخاصة التي وضعه فيها الرسول والتي تشير إليها الأحاديث الصحيحة الواردة في كتب السنن والتي تفهم منها الشيعة أن للإمام على دور خاص من بعد الرسول . . ( ١٦ )

أما الطرف السني فيفهم النصوص الواردة في الإمام على . على أساس أنها فضائل لا تجعل له ميزة خاصة حتى أنهم ساووه بمعاوية . . ( ١٧ )

\* مصدر التلقى :

من هنا حصر الشيعة مصدر التلقى في دائرة آل البيت واعتبروهم قديمتهم وقادتهم وولايتهم واجبة باعتبارهم الفئة الموكل لها حفظ الدين من بعد الرسول وسلم . . ( ١٨ )

أما أهل السنة فدائرة التلقى عندهم لا حدود لها فهم يتلقون دينهم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين دون تمييز على أساس حديث [ خير القرون قرني ثم الذي يليه ثم الذي يليه ] ( ١٩ )

وأهل السنة يقرّون بمكانة آل البيت ويعترفون بفضلهم وحبهم غير أن هذا الموقف لا يخرج عن كونه موقف تبريري في مواجهة النصوص الكثيرة الخاصة بآل البيت .

ذلك الموقف الذي اضطّرهم إلى تأويل هذه النصوص إلى معان أخرى ووجهها وجهة عكس وجهة الشيعة . . ( ٢٠ )

ومن الملاحظ للباحثين أن فقه آل البيت وعلومهم لا وجود له في تراث أهل السنة كذلك الأمر بالنسبة للأحاديث التي رويت من طرقهم والتي لا وجود لها في البخاري وكتب السنن الأخرى . . ( ٢١ ) وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على تدخل السياسة في حركة تدوين التراث الإسلامي بحيث حكرته في طائفة محددة هي أهل السنة وحرمت الأمة من نتاجات المدارس الأخرى وفي مقدمتها مدرسة آل البيت . . ( ٢٢ )

يقول السيد مرتضى العسكري : أما كيف نشأ الخلاف في كل هذه المسائل ؟ فلعل الباحث المتتبع يدرك بسهولة ويسر أنها نشأت على أثر تدخل الحكام فيها مدى القرون . فإن الحكام - على الأغلب - كانوا إذا اقتضت سياسة الحكم عندهم أمراً أقروه ثم أول المتزلفون إليهم القرآن بموجبه ورووا الحديث عن النبي في تأييدهم . . ثم أصبح ما تبناه الحكام قانوناً يعمل به ومثل الإسلام الرسمي . وأهمل ما خالفه ونبذ المخالف وعوقب بقسوة إلى حد القتل تارة . وأخرى دون ذلك .

وأخيراً ارتأت السلطات أن تقسر الأمة على الأخذ بفتاوى أحد أئمة المذاهب الأربعة في الفقه وآراء الأشعرى في العقائد . . وجمد طوائف من المسلمين على تقليد مؤلفي الصحاح في الحديث وخاصة البخاري ومسلم . فسدوا على أنفسهم باب العلم بسدهم باب البحث في الحديث كما سد عليهم باب الاجتهاد بقسرهم على تقليد أحد المذاهب الأربعة .

وإذا كانت غالبية الأمة تابعت حكامها في ما أقرت وتبنت . فقد كان في الأمة أئمة جاهدت في سبيل الحفاظ على التشريع الإسلامي من الضياع والتبديل وعلى سنة الرسول من التحريف والتصحيف . وأولئك هم أئمة أهل بيت الرسالة . وتابعهم من الأمة من سموا بشيعة أهل البيت حمل علماءهم الحديث بعد النبي عن أئمة أهل البيت متمثلين بقول الشاعر :

ووال أناسا قولهم وحديثهم \* روى جدنا عن جبرائيل عن البارى . .

ولما كان الناس على دين ملوكهم رأوا الإسلام متمثلاً بحكامهم وما تنبوه من حكم وعقيدة وسنة منسوبة إلى النبي وسموا من تابع الحكام بأهل السنة والجماعة . . وسموا من خالف الحكام وتابع أئمة أهل البيت بالرفضة وطاردت الحكومات المتعاقبة أئمة آل البيت أولاً . ثم طاردت شيعتهم من بعدهم ورمتهم بأنواع التهم . . ( ٢٣ )

أصول الاعتقاد عند الشيعة :-

يعتقد الشيعة أن أصول الدين خمسة هي :

- التوحيد . . - العدل . . - النبوة . . - الإمامة . . - المعاد . .

أما التوحيد فيعني لا إله إلا الله وعدم وجود شريك له في الربوبية وإخلاص العبادة له فمن أشرك في عبادته أحداً من خلقه كفر . وكون الشيعة تبيح التبرك بأئمة آل البيت والتوسل إلى الله بمنزلتهم لا يتناقض هذا مع مفهوم إخلاص العبادة لله . . ( ٢٤ )

وفيما يتعلق بالأسماء والصفات يتبنى الشيعة موقفاً يختلف مع أهل السنة ويلتقى مع المعتزلة في بعض جوانبه . . ( ٢٥ )

أما النبوة فتعني شهادة أن محمداً رسول الله . وتعني الإيمان بجميع الأنبياء والرسل . وتعني الإيمان بعصمة الرسول عصمة كلية من الخطأ والخطيئة طوال حياته . . ( ٢٦ )

وتؤمن الشيعة أن الكتاب الذي أنزل على محمد لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وهو ما عليه الإجماع . ومن اعتقد أو ادعى النبوة أو نزول وحى أو كتاب عليه بعد النبي فهو كافر . . ( ٢٧ )

والإمامة هي الأصل الذي تتميز به الشيعة على أهل السنة وسائر الفرق الأخرى وهي تعني أن النبي ينص على الإمام من بعده بوحي من الله وهو قد نص على علي . وعلى نص على الحسن . والحسن نص على الحسين . والحسين نص على علي زين العابدين . وعلى نص على الباقر . والباقر نص على جعفر الصادق . والصادق نص على موسى الكاظم . والكاظم نص على علي رضا . والرضا نص على محمد الجواد . والجواد نص على علي الهادي . والهادي نص على الحسن العسكري . والعسكري عين الإمام المهدي المنتظر . . ( ٢٨ )

وتعتقد الشيعة بعصمة الأئمة وهي نتيجة منطقية لاعتقادهم أن الإمامة منصب إلهي امتداد لمنصب الرسول لكن  
عصمة الإمام تعد أقل من عصمة الرسول على أساس أن مهمة الإمام هي مهمة تكميلية أقل من مهمة الرسول .

ونظرا لكون الشيعة تتعبد بالنصوص وهي التي تقوم عقائدها على أساسها فإن قضية عصمة الأئمة لها أدلتها من  
الكتاب والسنة .. ( ٢٩ )

أما المعاد فيقصد به البعث والحساب والجنة والنار والملائكة إلى كل ما يتعلق بالغيب وهم بهذا الاعتقاد يلتقون  
مع أهل السنة وسائر المسلمين ..

لقد طاردت السياسة حركة التشيع وحاصرتها وألصقت بها شتى الأسماء والمسميات فتارة يسمونها السبئية نسبة  
لعبد الله بن سبأ اليهودي .. ( ٣٠ )  
وتارة يسمونها الرافضة وتارة يسمونها الجعفرية وهي مسميات تفوح منها رائحة السياسة .. ( ٣١ ) ولقد عمدت  
كتب الفرق إلى محاولة تصوير الشيعة وكأنها فرقة ممزقة متناقضة تتصارع  
تياراتها فيما بينها حول أفكار ساذجة سطحية مع تعمد تصوير أهل السنة . وكأنهم الحكم والمقياس في الخلافات  
التي وقعت بين الفرق .. ( ٣٢ )

ومع الأسف وقع كثير من المصنفين والباحثين على مستوى الماضى والحاضر فى متاهة الفرق واعتمدوا هذه  
الكتب كمراجع معصومة .. عند الحكم على الشيعة أو أى فرقة مخالفة لنهج أهل السنة .. ( ٣٣ )  
هوامش :

( ١ ) سورة الصافات ..

( ٢ ) سورة القصص ..

( ٣ ) سورة مريم ..

( ٤ ) سورة الحجر ..

( ٥ ) سورة الأنعام ..

( ٦ ) سورة الأنعام ..

( ٧ ) سورة القصص ..

( ٨ ) سورة القمر ..

( ٩ ) سورة سبأ ..

( ١٠ ) الدر المنتور فى تفسير كتاب الله بالمأثور . تفسير قوله تعالى ( أولئك خير البرية ) قال المصنف السيوطى

: أخرج بن عساكر عن جابر بن عبد الله قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل على . فقال النبي : [

والذى نفسى بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة ] ..

( ١١ ) مسند أحمد بن حنبل وسنن ابن ماجه كتاب الفتن ..

( ١٢ ) وقعة صفين لنصر بن مزاحم . .

( ١٣ ) رواه مسلم فى باب فضائل الإمام على . كما رواه أحمد والهيثمى فى مجمع الزوائد . كذلك رواه الترمذى والحاكم . وانظر حديث الغدير الشهير الذى يقول فيه الرسول لعلى : [ اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ] . . رواه أحمد بإسناد صحيح . ويذكر أن هذا الحديث جزء من خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع . .

( ١٤ ) رواه مسلم . وعن على قال : [ عهد إلى النبى الأسمى صلى الله عليه وسلم أنه لا يحبنى إلا مؤمن . ولا يبغضنى إلا منافق ] . . راجع صحيح مسلم كتاب <=< الإيمان . ومسند أحمد والترمذى وابن ماجه باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ( ١٥ ) كتاب الزينة وهو مخطوط . وأبو حاتم من أعيان القرن الرابع . توفى ٣٢٢ هـ

( ١٦ ) من هذه الأحاديث حديث الثقلين المذكور . وحديث [ أنت منى بمنزلة هارون من موسى . إلا أنه لا نبى بعدى ] . . أخرجه الستة . . وحديث [ لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ] . . وقد أعطها الرسول عليا .

رواه أحمد والترمذى ومسلم وحديث الكساء المشهور الذى جمع فيه الرسول أهل بيته وهم على وفاطمة والحسن والحسين وأدخلهم تحت كساءه وقال : [ اللهم إن هؤلاء آل بيتى ] وغيرها كثير . .

( ١٧ ) يعتقد أهل السنة أن الصحابة جميعهم عدول وهنا يتساوى معاوية مع الإمام على . كما يعتقدون أن جميع المخالفات والجنايات التى ارتكبتها الصحابة هى من قبيل الاجتهاد المستحق صاحبه للثواب . راجع العواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى وراجع لنا حركة آل البيت وعقائد السنة وعقائد الشيعة . .

( ١٨ ) هنا تبرز قضية الإمامة عند الشيعة وأهميتها ودورها فى حفظ الدين بعد الرسول وإقامة الحجة والتعبير الحقيقى عن الإسلام فى وسط ممزق واتجاهات تبرز للإسلام صورا مريبة ومنقوصة .

( ١٩ ) رواه البخارى فى باب فضائل أصحاب النبى انظر العقيدة الطحاوية والعواصم من القواصم . .

( ٢٠ ) يعرف أهل السنة آل البيت على أنهم بنو عبد المطلب . والبعض قال إنهم قريش كلهم . وقال البعض إنهم على وفاطمة والحسن والحسين وأزواج النبى والعباس وولده . والمشهور أنهم الذين حرمت عليهم الصدقة . وهذا الخلاف فى التعريف فيه رائحة السياسة إذ الهدف منه تمييز فكرة آل البيت فى نفوس المسلمين حتى لا تتجه أبصارهم نحو على وأولاده الذين قصدهم <=

الرسول وعرفهم . أنظر العقيدة الواسطية لابن تيمية والعقيدة الطحاوية للطحاوى . .  
( ٢١ ) لا يوجد من بين علماء السنة من يستشهد بكتب الفقه الشيعية أو يعترف بها . وهناك تحذيرات متوارثة عبر الأجيال المسلمة من كتب معينة لمجرد أن أصحابها متهمون بالتشيع مثل مروج الذهب للمسعودى وهو كتاب تاريخ . والإمامة والسياسة لابن قتيبة . وتاريخ الطبرى . .

( ٢٢ ) عاصر البخارى ومسلم وجامعى الأحاديث أئمة آل البيت فى زمانهم ولم يرووا عنهم مع أنهم الأقرب للرسول وسلم والأسباب واضحة . ومن المعروف أن مدرسة آل البيت أسست معظم علوم الإسلام من فقه وحديث وتفسير ولغة وغيرها . أنظر تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر . .

( ٢٣ ) مقدمة كتاب أصل الشيعة وأصولها . وللتوسع فى هذا الأمر أنظر تاريخ الشيعة للمظفر وأضواء على السنة لمحمود أبو رية والنص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين - وتاريخ الحديث للسيد مرتضى العسكرى . ومن المعروف أن الظاهر بيبرس أصدر مرسوما بغرض المذاهب الأربعة وتحريم ما عداها عام ٦٦٥ هـ . أنظر الخطط للمقريزى ص ١٦١ .

( ٢٤ ) هذا ما تقول به المذاهب الأربعة وكثير من أهل العلم ولم يشذ عنه سوى بعض الحنابلة وفى مقدمتهم ابن تيمية الذى ارتكزت على موقفه الدعوة الوهابية فى العصر الحديث . .

( ٢٥ ) ترفض الشيعة كل الروايات التى وردت فى السنن والتى تصور أن الله يضحك أو يضع قدمه فى النار أو ينزل إلى السماء الدنيا أو يرى يوم القيامة . فكل هذه وأمثالها نصوص تؤدى إلى التشبيه والتجسيم . وهذه النصوص محل تسليم مطلق عند السنة . انظر العقيدة الطحاوية للطحاوى والعقيدة الواسطية لابن تيمية وكتب العقائد . . =>

ويميل الشيعة إلى تأويل النصوص المتعلقة بأسماء الله وصفاته . فيؤولون اليد فى الآيات بالقدرة والعرش بالاستيلاء والوجه بالذات ومجئ الله بمجئى أمره إلى آخر الآيات التى تتعلق بالأسماء والصفات . . أنظر عقائد الإمامية . والبقين فى معرفة أصول الدين ودراسات فى العقيدة الإسلامية . وانظر لنا عقائد الشيعة وعقائد السنة . .  
( ٢٦ ) العصمة عند أهل السنة جزئية . أى أن الرسول معصوم فى جانب التبليغ فقط ويجوز عليه الخطأ والنسيان حتى أنه سحر وكان يقول القول ولا يدري ويأتى النساء ولا يأتىها . أنظر أحاديث السحر فى البخارى وأنظر لنا فقه الهزيمة فصل شخصية الرسول . .

( ٢٧ ) الأخبار الواردة عن تحريف القرآن من طرق الشيعة ضعيفة وشاذة . ويذكر أن هناك أخبار لدى السنة تفيد تحريف القرآن أيضا .

أنظر كتب تاريخ القرآن مثل تاريخ القرآن للزنجاني وعبد الصبور شاهين وانظر حديث حذيفة بصحيح مسلم باب الزكاة الذى يفيد أنه كانت هناك سورا متداولة بين الصحابة غير سور القرآن . وانظر أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة ..

( ٢٨ ) هؤلاء هم الأئمة الاثنى عشر الذين تحصر الشيعة مفهوم آل البيت فى دائرتهم وقد بشرت بهم الأحاديث عند السنة والشيعة . غير أن السنة لا تذكر أسمائهم وتعتقد أن منهم الخلفاء الأربعة واختلفوا فى الثمانية الباقين بين خلفاء بنى أمية وخلفاء بنى العباس .

راجع شرح الحديث فى فتح البارى شرح صحيح البخارى آخر باب الأحكام وفى صحيح مسلم شرح النووى وفى العقيدة الطحاوية وتاريخ الخلفاء للسيوطى .. وفيما يتعلق بالإمام المهدي فالشيعة تعتقد فى غيبته وأنه حى مستور منذ عام ٢٥٥ هـ وهذا الاعتقاد له أدلته ومبرراته عندهم ..

( ٢٩ ) فى مقدمة أدلة الشيعة فى قضية العصمة قوله تعالى : ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا ) .. الأحزاب .. وقول = <

الرسول وسلم [ إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ] .. أنظر لنا الشيعة والسنة حوارات ومناقشات . وانظر عقائد الإمامية واليقين فى أصول الدين . وتقابل فكرة العصمة عند الشيعة فكرة عدالة الصحابة عند السنة . والفرق بينهما أن الشيعة حصرتها فى الأئمة اثنى عشر بينما السنة أشاعتها فى جميع الصحابة . أنظر العقيدة الواسطية وتأمل كلام ابن تيمية عن الصحابة .. وكذلك العواصم من القواصم .

( ٣٠ ) إلصاق الشيعة بآبى سبأ الهدف منه التشكيك فى نشأة الشيعة وربطها باليهود انظر عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى للسيد مرتضى العسكري . وعبد الله بن سبأ دراسة تاريخية . وهى كتب تبحث فى حقيقة ابن سبأ وتخرج فى النهاية بنتيجة مفادها أن ابن سبأ شخصية وهمية .

( ٣١ ) ألصق اسم الرافضة بالشيعة لرفض الشيعة لزيد بن على بن الحسين لأنه أقر بخلافة أبى بكر وعمر حسبما يقال . أما اسم الجعفرية فقد ألصق بالشيعة نتيجة لحالة البروز العلمى العلنى فى عهد الإمام السادس جعفر الصادق والتى كانت حالة البروز الأولى فى تاريخ الشيعة ..

( ٣٢ ) أنظر الفرق بين الفرق للبغدادى . والملل والنحل للشهرستانى ومقالات الإسلاميين للأشعرى ..

( ٣٣ ) أنظر لنا فقه الهزيمة فصل العقيدة .. وعقائد السنة وعقائد الشيعة .. ( \* )  
( المصدر : الشيعة فى مصر - صالح الوردانى ) .

لمحة تاريخية عن شيعة مصر :-

هل - التشيع في مصر بدأ مع الفاطميين . . ؟

يجيب المقرئى بقوله كان التشيع معروفا بأرض مصر قبل ذلك .

وينقل رواية الكندى فى كتاب ” الموالى ” عن عبد الله بن لهيعة أنه قال قال يزيد بن أبى حبيب : نشأت بمصر  
وهى علوية فقلبتا عثمانية . . ( ١ )

ويذكر لنا التاريخ ثورة محمد بن أبى حذيفة فى مصر عام ٣٥ هـ والتي خلع فيها والى عثمان عقبة بن عامر وجمع  
الناس وألبهم على عثمان ودخل فى صدام مع أنصاره فى مصر وحبس بعضهم بعد أن تمكن منهم وهم ” بسر بن  
أرطاه ” و ” معاوية بن خديج ” .

ثم بعث ابن أبى حذيفة بقوة إلى عثمان بالمدينة ساهمت فى الثورة عليه وقتله . . ( ٢ ) وحين عادت القوة إلى  
مصر بعد مصرع عثمان دخلت البلاد وهى ترتجل :

\* خذها إليك واحذرن أبا الحسن \*

\* إنا نمر الحرب إمرار الوسن \*

\* بالسيف كى تخمد نيران الفتن . . \*

فلما دخلوا المسجد صاحوا لسنا قتلة عثمان ولكن الله قتله . . ( ٣ )

وكان من أمر شيعة عثمان أن جمعوا صفوفهم وانطلقوا إلى معاوية وبايعوه على الطلب بدم عثمان . فسار بهم  
معاوية إلى الصعيد وهزم أصحاب ابن أبى حذيفة . . وبعث ابن أبى حذيفة  
بجيش آخر عليه قيس بن حرملة فاقتتلوا فى ( خربتا ) أول شهر رمضان عام ٣٦ هـ فقتل قيس وسار معاوية إلى  
مصر فخرج إليه ابن أبى حذيفة فى أهل مصر فمنعوه أن يدخلها ثم حدث  
اتفاق بين الطرفين على أن يسلم قادة الشيعة الثلاثة أنفسهم لمعاوية كرهائن إلى حين يتم القبض على قتلة عثمان  
إلا أن معاوية غدر بالقادة الثلاثة واستولى على مصر . . ( ٤ ) ولما  
بلغ على بن مصاب أبى حذيفة بعث قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى على مصر فدخلها سنة سبع وثلاثين  
واستمال الخارجين بأهل خربتا ومصر يومئذ من جيش على إلا أهل خربتا  
الخارجين بها . . ( ٥ ) ثم أوقع معاوية بين قيس والإمام على .

وتم عزل قيس وتولية محمد بن أبي بكر الذي لم يتمكن من الصمود أمام جيش معاوية بقيادة عمرو بن العاص وسقط قتيلا فى عام ٣٨ هـ ولم يمكث فى الحكم سوى خمسة أشهر . . ( ٦ )  
ويبدو أن محمد بن أبى بكر استفز القوم فى مصر كما لم يتمكن من التصدى لهذا التحدى الخارجى القادم من الشام بالإضافة إلى مواجهة الفتن فى الداخل . . وبعد سقوط بنى أمية وقيام دولة بنى العباس ظهرت دعوة بنى حسن بن على بمصر وتكلم الناس بها . وباع كثير منهم لعلى بن محمد بن عبد الله . وكان أول علوى قدم مصر . وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد بن حبيش الصوفى من خاصة الإمام على وشيعته وحضر الدار فى قتل عثمان . . ( ٧ ) وما زالت شيعة على بمصر إلى أن ورد كتاب المتوكل على الله إلى مصر يأمر فيه بإخراج آل أبى طالب من مصر إلى العراق فأخرجوا فى رجب عام ٢٣٦ هـ . . واستتر من كان بمصر على رأس العلوية .

وقام يزيد بن عبد الله أمير مصر يومئذ بتتبع الروافض وحملهم إلى العراق . .  
ومات المتوكل وجاء المستنصر فورد كتابه إلى مصر بالأى يقبل علوى ضيعه . ولا يركب فرسا . ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها .  
وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد .  
ومن كان بينه وبين أحد من الطالبين خصومة قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة . . ( ٨ ) وجاء المستعين واستمرت سياسة التهجير لشيعة مصر من الطالبين . .  
وهذه السياسة التى مارستها حكومات بنى العباس ضد أبناء آل البيت فى مصر إنما كان الهدف منها القضاء على الوجود الشيعى فى مصر بنفى قيادات الشيعة والعناصر الفاعلة فى دائرتها ليتم عزل جماهير الشيعة تمهيدا لاحتوائها وتصفيتها . . وفى عام ٢٥٢ هـ قامت ثورة شيعية بالإسكندرية بقيادة جابر بن الوليد المدلجى واجتمع إليه خلق كثير من بنى مدلج وهزم جيش العباسيين وقوى أمره وأتاه الناس وتمكن من السيطرة على الوجه البحرى . إلا أن هذه الثورة لم تنجح . . ( ٩ ) ثم حدثت ثورة أخرى صغيرة قادها بغا الأكبر - يمتد نسبه إلى الحسين - فى الصعيد .

وقامت بعدها ثورة أخرى قادها بغا الأصغر فيما بين الإسكندرية وبرقة فى عام ٢٥٥ هـ . فى عهد ابن طولون وسار فى جمع إلى الصعيد لكنه قتل . .

وثار ابن الصوفى العلوى فى الصعيد واستولى على إسنا وهزم جيش ابن طولون لكنه هزم فى إخميم وفر إلى مكة وقبض عليه ابن طولون بعد ذلك . .

وفى عهد خمارويه بن أحمد بن طولون ظهر رجل ينكر أن أحدا خيرا من أهل البيت فوثب عليه العامة وضرب بالسياط فى عام ٢٨٥ هـ . . ( ١٠ ) وحدث صدام بين جمع من الأهالى والجنود أمام الجامع العتيق - جامع عمرو - بسبب لوحة على باب الجامع ذكر فيها الصحابة والقرآن . وأراد الأهالى خلعه فتصدى لهم الجنود ووقعت إصابات فى الجانبين . . ( ١١ )

يقول المقرئى : وما زال أمر الشيعة يقوى فى مصر إلى أن دخلت سنة ٣٥٠ هـ ففى يوم عاشوراء وقعت منازعة بين الجنود وبين جماعة من الرعية عند قبر كلثوم

العلوية بسبب ذكر السلف والنوح وقتل فيها جماعة من الطرفين . . وتعصب السودان - الجنود - على الرعية فكانوا إذا لقوا أحدا قالوا : من خالك . . ؟ فإن لم يقل معاوية بطشوا به وشلحوه . ثم كثر القول : معاوية خال على . . ( ١٢ ) وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة يناديان فى كل يوم جمعة فى رجوة الناس من الخاص والعام : معاوية خالى وخال المؤمنين . وكتب الوحي ورديف رسول الله - وهذا أحسن ما يقولونه - وإلا فقد كانوا يقولون : معاوية خال على من ها هنا - ويشيرون إلى أصل الأذن - ويلقون أبا جعفر الحسينى فيقولون له ذلك فى وجهه .

وكان بمصر أسود يصيح دائما : معاوية خال على فقتل بتئيس أيام القائد جوهر . . ( ١٣ ) وقد قام خصوم الشيعة فى مصر بمظاهرة فى عهد كافور الأحمدي يطالبونه فيها بنصرة إخوانهم الذين ثار عليهم الطالبين بمكة . . ( ١٤ )

واستمرت مطاردة الشيعة وضربهم كلما ظهرت لهم شعيرة أو ارتفع لهم صوت وضرب رجل شيعى بالسياط وجعل فى عنقه غل وحبس حتى مات وأراد العامة نبش قبره إلا أن جنود كافور منعوهم . .

وفى عام ٣٥٦ هـ كتب على المساجد ذكر الصحابة والتفضيل أى تفضيل أبى بكر على على . لكن كافور أمر بإزالته . .

ومثل هذا السرد التاريخى إن دل على شئ فإنما يدل على أن الشيعة كان لها وجودها البارز والفعال على الساحة المصرية وفى قلب القاعدة الشعبية .

وهذه الوقائع تشهد على هذا فهى رد فعل سننى تجاه هذا التواجد المستنزف لهم . .

\* بين العباسيين والفاطميين :

وبعد سقوط الأخشيديين ودخول الفاطميين مصر ظهر مذهب التشيع وأذن في مساجد مصر الجامعة وغيرها :  
حتى على خير العمل .

وبدأت الشعارات الشيعية تبرز على ساحة الواقع ومنها الجهر بأفضلية علي والصلاة عليه وعلى الحسن  
والحسين وفاطمة .

ودارت الدائرة وهم جوهر الصقلي بإحراق رحبة الصيارفة بسبب تظاهرهم ضد الحكومة رافعين شعار : معاوية  
خال علي . . ( ١٥ ) وصدر الأمر بالجهر بالبسملة وكتب علي سائر  
الأماكن في مصر : خير الناس بعد رسول الله وسلم علي . وأمر بالصوم والفضة على مذهب الشيعة . وقطعت صلاة  
التراويح من جميع البلاد المصرية . . ( ١٦ )

وفي ربيع ٣٨٥ هـ جلس القاضي محمد بن النعمان على كرسى بالقصر في القاهرة لقراءة علوم أهل البيت .  
وتسارع الناس إلى الدخول في الدعوة فقدموا من سائر النواحي والضياع فكان للرجال يوم الأحد والنساء يوم  
الأربعاء . للأشرف وذوى الحاجة يوم الثلاثاء .

وتزاحم الناس على الدخول في الدعوة فمات عدة من الرجال والنساء . . ( ١٧ ) ولم تواجه جماهير السنة في  
مصر أية ضغوط من قبل الدولة الفاطمية لإجبارها على التخلي عن مذهبها كما أشاع خصوم الفاطميين .

وإنما الجماهير هي التي زحفت طواعية نحو دعوة آل البيت حتى تحول أنصار مذهب السنة إلى أقلية .

وقد كانت الحرب الدعائية على أشدها ضد الفاطميين من قبل العباسيين في بغداد .  
ومن صور هذه الحرب إعلان العباسيين وثيقة وقع عليها وجهاء من السنة . والشيعة تدعى بطلان دعوى  
الفاطميين في الانتساب إلى آل البيت . . ( ١٨ ) وقد تأثرت الكتابات التاريخية  
التي رصدت تلك الفترة بهذه الحرب وانحازت إلى صف العباسيين السنة . وبرز هذا الأمر بوضوح بعد سقوط  
الدولة الفاطمية على أيدي الأيوبيين . . ( ١٩ )

ويدافع المقرئ عن حملات التشكيك التي وجهت للفاطميين في مسألة نسبهم لآل البيت ومحاوله نسبتهم  
للإهود والمجوس . .

يقول المقرئى : وهذه أقوال إن أنصفت يتبين لك أنها موضوعة . فإن بنى على قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة . فما الحامل لشيعتهم على الإعراض عنهم والدعاء لابن مجوس أو لابن يهودى . فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية فى الجهل والسخف . . وإنما جاء ذلك من قبيل ضعفة خلفاء بنى العباس عندما غضوا بمكان الفاطميين .

وأسجل القضاء بنفيهم من نسب العلويين وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفان الرضى والمرضى وأبو حامد الإسفرايينى فى عدة وافرة عندما جمعوا لذلك فى سنة ٤٠٢ هـ أيام القادر . . وكانت شهادة القوم فى ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها إنما هم شيعة بنى العباس الطاعنون فى هذا النسب والمتطيرون من بنى على الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة . فنقل الأخباريون وأهل التاريخ . ذلك كما سمعوه ورووه حسبما تلقوه من غير تدبر . . ( ٢٠ )

✽ الفاطميون ومصر :

لم تستند مصر من ولاتها الذين حكموها منذ الفتح الإسلامى قدر ما استفادت وانتفعت من الفاطميين على جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية وأن بناء القاهرة والجامع الأزهر لهما خير دليل على ذلك . . والتاريخ يحدثنا عن نهضة واسعة فى الحياة الفكرية والأدبية فى العصر الفاطمى كما يحدثنا عن ازدهار العلوم الفلسفية والرياضيات والفلك والتنجيم والطب .

ويقول الدكتور محمد كامل حسين : . . فى العصر الفاطمى نرى تطورا جارفا فى الحياة الفكرية ولا سيما فى العلوم الفلسفية على اختلاف ألوانها وفنونها . إذ ازدهرت هذه العلوم ورعاها الخلفاء الفاطميون .

بل كان هؤلاء الخلفاء من العلماء المبرزين فى بعض هذه العلوم . وخاصة فى الإلهيات والفلك . . وقد اهتم الفاطميون برصد النجوم واهتموا بعلماء الرياضيات اهتماما خاصا . . كما اهتموا بالشعر واتخذوه وسيلة من وسائل دعوتهم السياسية .

وكان الفاطميون أساتذة فى الدعاية واتخذوا لها كل الوسائل الممكنة فى عصرهم وجندوا للدعاية كل من يفيدهم فى هذا

المضمار . . ولا أكاد أعرف دولة من الدول الإسلامية أقامت للشعراء هذا التمجيد . أو اهتمت بهم هذا الاهتمام فلا غرو إذا إن ازدهر الشعر المصرى ازدهارا لم يعرف من قبل . . ( ٢١ )

ويقول الدكتور عبد المنعم الماجد : . . ويرجع الفضل إلى الفاطميين في خلق أهمية مركز مصر الدولي للتجارة . إذ أنهم عرفوا مزايا الموقع الجغرافي لمصر في مفترق القارات لتربط بين عالمين ولكي يسهل الفاطميون نقل التجارة بين الشرق والغرب فتحوا القنال بين النيل والبحر الأحمر وهو ما عرف في عهد المستنصر بالخليج الحاكم نسبة إلى الحاكم بأمر الله . . ( ٢٢ )

وقد ذكر الرحالة ناصر خسرو عندما مر بمصر في تلك الفترة : أن المصريين كانوا في حالة حسنة جدا . وأنه رأى أموالا يملكها بعض المصريين لو ذكرها أو وصفها لما صدقه أحد . فهي لا تقع تحت تحديد أو حصر . وهي للنصارى والمسلمين على السواء . . ( ٢٣ )

وذكر أيضا : وقد رأيت الأمن والعدل فيما رأيت من بلاد العرب والعجم في أربعة مواضع : الأول بالدشت أيام تشكر خان . والثاني بالديلم أيام أمير الأمراء جستان بن إبراهيم والثالث بمصر أيام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والرابع بطبس أيام الأمير أبي الحسن بن محمد . فلم أسمع على كثرة ما سافرت بهذه الجهات عن الأمن ولم أره . . ( ٢٤ )

لقد أصبحت مصر لأول مرة في التاريخ مركز الحكم والتوجيه وتحولت القاهرة إلى عاصمة للعالم الإسلامي كما أصبحت منارة العلم وقبلة المتعلمين وذلك بفضل الفاطميين الشيعة .

وكانت الدولة الفاطمية تمتد من أقصى المحيط الأطلسي إلى الفرات وبلغت دعوتها إلى أقصى انتشارها ووصل غناها إلى الذروة . وهكذا كان حال الدولة الفاطمية حين تسلمها المستنصر بالله الخليفة الثامن من خلفاء الفاطميين . . ( ٢٥ )

وكانت الدولة الفاطمية في خلافة الظاهر والد المستنصر في غاية الاستقرار والرفاهية ولأجل ذلك مال الظاهر إلى الدعة والراحة ولما جاء المستنصر ركن إلى

هذا الحال . . ( ٢٦ )

وقد ازدهرت الحركة العمرانية في عهد الفاطميين كما ازدهرت صناعة النسيج واشتهرت مصر بصناعة أنواع خاصة من النسيج .

وكانت الحكومة تقوم بكسوة موظفيها في الصيف والشتاء وكسوة العامة من الفقراء والمحتاجين . . ( ٢٧ ) ولم تكن المواكب المترفة غاية الترف التي كانت تخرج في شوارع القاهرة في المناسبات الدينية كعيد الفطر والأضحى وبداية رمضان وكذلك في عيد ميلاد الخليفة - هذه المواكب تشير في دلالة واضحة إلى حالة الرخاء والسعة التي كانت تعيشها في تلك الفترة . . وجميع أفراد الشعب كانوا يتأثنون لهذه المواكب فيلبسون أغلى الملابس وأروعها والتي كانت تصنع في دور الطرز المصرية . وهي أماكن لصناعة الملابس أغلبها مذهبة . يشملها زى مصرى عام ذو أكمام واسعة . . وقد بلغت الناس غاية التأنق في عهد الظاهر . . ( ٢٨ )

وكان الخليفة العزيز يقول : أحب أن أرى النعم عند كل الناس ظاهرة . وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر . ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار . وأن يكون ذلك كله من عندي . . ( ٢٩ )

ويروى المؤرخون الكثير عن عدل المستنصر ورحمته بالناس فقد كان يعطى الدواء لمن يطلبه المجان ويخالط الناس ويسمع شكواهم وقد أحبته الرعية حبا شديدا . . ( ٣٠ )

كما يروى أن النفقة على قافلة الحج في عهد المستنصر بلغت مائتي ألف دينار ولم تبلغ هذه النفقة مثل ذلك في دولة من الدول حيث كانت تشمل ثمن الطيب والشمع والحماية والصدقة وأجرة الجمال ومعونة خدم القافلة ومن يسير معها من العسكر الذين بلغت نفقاتهم في عهد المستنصر ستين ألف دينار زيادة على مرتباتهم أو ألف دينار في اليوم . . ( ٣١ )

وقد أنشأ الحاكم بأمر الله دار الحكمة أو دار العلم في عام ٣٩٥ هـ وزودها بالكتب من كل نوع في العلوم والآداب والعقائد وكان الطلاب يفتنون إليها من شتى الأقطار . فكانت أشبه بجامعة تتكون من عدة كليات . . وكانت خزانة الكتب في زمن المستنصر لا نظير لها في جميع بلاد الإسلام وهي تتكون من أربعين خزانة فيها أكثر من مائتي ألف كتاب وعدد كبير من الكتاب والنسخ . . ( ٣٢ ) وبلغ عدد المساجد في مصر آنذاك ستة وثلاثون ألف مسجد في جميع المدن والقرى ولكل مسجد يقع في حدود الدولة من الشام إلى القيروان نفقات يقدمها الخليفة المستنصر من زيت وحصير وسجاجيد للصلاة ورواتب للقوام والفراسين والمؤذنين وغيرهم . . ( ٣٣ )

واعتماد خلفاء الفاطميين أن يقيموا في قصورهم الولايم الفاخرة في الأعياد لعامة الناس حيث تقدم لهم الفطرة وهي حلوى من دقيق وفسق وولوز وبنديق وتمر وزبيب وعسل وهي تشر كالجبل الشاهق على مائدة طويلة بالإيوان الكبير . . ( ٣٤ )

وفى عيد الأضحى كان الخليفة ينحر بنفسه الأضاحى إيدانا منه ببدء النحر . وكانت تنحر فى فترة العيد ما يزيد على الألف رأس توزع لحومها على الموظفين وطلبة العلم والقائمين بشئون الجوامع . . ( ٣٥ )

إن الدولة الفاطمية التى استقرت بمصر فكانت أوفرها بين الدول بهاء وأبقاها أثرا وما زال الجامع الأزهر غرس الدولة الفاطمية اليناع يقوم منذ ألف عام أثرا خالدا ورمزا باهرا لهذا العصر الزاهر وهذه الدولة المستنيرة العادلة .

وربما كان العصر الفاطمى بين عصور مصر الإسلامية الغابرة أجودها من هذه الناحية بالدرس والتمحيص وأحفلها بالمواقف الشائقة وأكثرها سحرا وفتنة وأبعثها إلى التأمل والعطف لأن الخلافة الفاطمية بالرغم مما كان يحيق بأصولها وأمامها من الريب فقد كانت بنظمها الطريفة ورسومها الفخمة وخالها الباهرة تنشر من حولها فيض من العظمة والبهاء وتطبع العصر بطابع عميق من روحها الباذخ كما يحدثنا التاريخ . . ( ٣٦ )

وفى أيام هذه الدولة أخذت أنوار الحضارة الإسلامية تنبثق من هذه المدينة الزاهية على أرجاء الأرض . وأخذ الفن المصرى الإسلامى يتألق فى جميع نواحيه .

وفى رعاية هذه الدولة وثبت العمارة الإسلامية وثبة قوية حتى قاربت الكمال لأن خلفاءها تباروا فى إنشاء وتأسيس المساجد الكبرى والحصون والقصور والمناظر والحدائق والبساتين .

وفى هذا العصر الزاهى انتشر الزخرف فى واجهات المساجد وانتعش التصوير ونبغ المصورون وترقت ودقت صناعة الجص والأخشاب . . وكانت أيامهم كلها أعيادا بما ابتكروه من حفلات جمعت بين جلالة الملك وطرب الشعب وبهجته . . ( ٣٧ )

نص الفتوى التى أصدرها السيد صاحب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر فى شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية قيل لفضيلته :

” بسم الله الرحمن الرحيم . . . إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكى تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية ولا الشيعة الزيدية ، فهل توافقون فضيلتكم على هذا رأى على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مثلا ؟ فأجاب فضيلته :

١ - إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين بل نقول : إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أى مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحا والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ولمن قلد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره - أى مذهب كان - ولا حرج عليه في شئ من ذلك .

٢ - إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة . فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب ، أو مقصورة على مذهب ، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونهم في فقههم ، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات.

التوقيع السيد صاحب الفضيلة العلامة الجليل الأستاذ محمد تقى القمى السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية سلام عليكم ورحمة الله . .  
أما بعد . . فيسرنى أن أبعث سماحتكم بصورة موقع عليها بإمضائى من الفتوى التى أصدرتها فى شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية ، راجياً أن تجعلوا فى سجلات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التى أسهمنا معكم فى تأسيسها ووقفنا الله لتحقيق رسالتها . والسلام عليكم ورحمة الله . .

شيخ الجامع الأزهر التوقيع نص فتوى الشيخ محمود شلتوت - وهو شيخ للجامع الأزهر - بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية ، مذيلة بخطاب منه إلى سكرتير جماعة التقريب بين المذاهب ، لكى يحتفظ بها فى سجلات الجماعة . . ”

عدد الشيعة فى مصر :-

يحدد ذلك تصريح أحد المتحدثين الرسميين باسم المذهب الشيعى فى مصر وهو محمد الدرينى فىقول : “إنه حسب تقرير الحالة الدينية للخارجية الأميركية قدر عدد الشيعة فى مصر بـ٧٥٠ ألف شخص، ولكن أنا أعتقد أن عدد الشيعة يفوق هذا العدد بكثير لأننا لا بد أن نضع فى اعتبارنا أن هناك ما يزيد على عشرة ملايين صوفى فى مصر، ويوجد بينهم ما لا يقل عن مليون يتبعون الفكر الشيعى. كما أننا لا يمكن أن نعزل فصيل الاشراف الجعفرية، وهذا بالتأكيد توجههم شيعى، وقال لكن هناك ضغوطاً إعلامية وأمنية تدفع الكثيرين إلى عدم إعلان تشيعه.”

ص: ١٨

الشيعة في مصر كيف يحييون شعائرهم خلال شهر رمضان؟

في الآونة الأخيرة، تكثر الأحاديث بين الناس وفي وسائل الإعلام عن الشيعة ربما بسبب النزاع الطائفي بين الشيعة والسنة في العراق، ربما لفشل إسرائيل في القضاء على حزب الله أثناء الحرب الإسرائيلية على لبنان أو ربما للجدل الدائر دائماً حول إيران ودورها في المنطقة كما ينقل ذلك موقع البي بي سي على الانترنت. وهذا يعني أن تلك الأحاديث في أغلب الأحيان تكون متعلقة بالسياسة والحكم، ولكن ماذا عن الجانب الروحي الديني! هل يختلف الشيعة كثيراً عن السنة؟ يقول الدكتور أحمد راسم النفيس الأستاذ بكلية الطب جامعة المنصورة والمتحدث باسم الشيعة في مصر إن الاختلافات بين السنة والشيعة فرعية وليست جوهرية موضحاً أن العقيدة واحدة والفروع متعددة والاختلاف يوجد بين المدارس الفقهية المختلفة.

وعن سبب تأخر الشيعة في وقت الإفطار في رمضان عن السنة يستشهد الدكتور أحمد راسم بقول الله تعالى في سورة الإسراء " أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر " والآية الثانية في سورة البقرة " ثم أتموا الصيام إلى الليل " مما يدل على أن الصيام لا يكتمل إلا ببدء دخول الليل وليس باكتمال دخول الليل.

فالرسول عليه الصلاة والسلام سئل متى يفطر الصائم فأجاب: ما إذا أدرت النهار من ها هنا وأشار بيده إلى المغرب وأقبل الليل من ها هنا وأشار بيده إلى المشرق، ونستخلص من ذلك أن بدء دخول الليل يتحقق بزوال ما يعرف بحمرة الشمس المشرقية، والكلام للدكتور أحمد راسم.

ومن المعتاد أن تكتظ الجوامع في مصر بعد صلاة العشاء بالسنة لأداء ما يعرف بصلاة التراويح، لكن الشيعة لا يصلون معهم. ويبرر راسم هذا المبدأ قائلاً إن أتباع مذهب آل البيت يأخذون بالنظرية الأصلية وهي أن صلاة النوافل أصلاً تكون فرادى وفي البيوت لأنه تطوع وينبغي أن تكون بعيدة عن مظاهر الشهرة والرياء والتنافس كما أن المتفق عليه أنه تكاد تكون لا توجد أدلة على أن الرسول جمع المسلمين لصلاة الجماعة في ليالي رمضان وأن من جاء بعد الرسول هم من سوا هذه السنة. وفي مجلس شيعي عقد بأحد المنازل وحضره ما يقرب من مئتي شخص جلسوا في غرفتين واحدة للرجال وأخرى للنساء، بدأ الجمع الإفطار بعد آذان المغرب بحوالي اثنتي عشرة دقيقة، ثم الصلاة وتلاوة القرآن ليلقى بعضهم كلمات عن خلق المسلم مستشهدين بالرسول عليه الصلاة والسلام، ثم أخذ شيخ كفيف في ترديد الأناشيد

الدينية والجمع من بعده.

ويقول مراسل البي بي سي: حاولت الحديث مع الموجودين لكنهم رفضوا بشدة إما احتراماً لكبيرهم الذى لا يستطيعون التحدث وهو حى يرزق ليس خوفاً منه ولكن إجلالاً لقدره على حد قولهم - وللأسف هذا الكبير كان مسافراً وقتها - وإما لأسباب أمنية كما قال البعض.

والحال كذلك مع النساء اللاتي بدت بعضهن أكثر استغراقاً فى سياق الجلسة حتى أنهن رفضن تركها ولو لدقيقتين للحديث معى.

وفى النهاية عثرت على سيدة تسمى هبة ولكنها ليست مصرية بل لبنانية تعيش فى مصر.

تقول هبة إن المجلس الشيعى هو كل شىء بالنسبة لهم، إذ تعقد فيه الندوات الدينية والتربوية وهدفه الأساسى هو الإرشاد ولكن هناك مجالس تعقد للاحتفال بمناسبات خاصة مثل يوم الخامس عشر من رمضان وهو يوم مولد الإمام الحسن عليه السلام وليلة الحادى والعشرين من شهر رمضان وهى ليلة وفاة الإمام على ويطلق عليها "ليلة الدربة" ويتم إحياء هذه المناسبات سنوياً ويتحدث الشيعة خلالها عن حياة الأئمة وكيف يكون الإقتداء بهم وبسلوكهم والسير على رسالتهم. ثم تحدثت هبة عن الشعائر الدينية الخاصة بشهر رمضان وقالت "لدينا صلاة نوافل بين المغرب والعشاء بالإضافة إلى ركعتين يومياً، وعند جمع صلوات النوافل تكون قد أتممت ألف ركعة بنهاية الشهر الكريم كما أن هناك صلوات خاصة بنهار كل يوم موجودة جميعها فى الكتب التى تقرأ بها دعاء اليوم؛ فهناك مثلاً دعاء الافتتاح قبل الإفطار وهناك دعاء خاص بكل يوم مثل دعاء كميل ليلة الخميس وأدعية أخرى مثل دعاء التوسل."

وفى النهاية أود الإشارة إلى أن كلمة "شيعة" تعنى الأحاباب والأنصار والأتباع، وشيعة على وبنية هم الذين يؤمنون بأن على رضى الله عنه كان الأولى بالخلافة من أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم جميعاً وأن الحكم بعد الرسول مباشرة هو لعلى ولذريته من بعده إلى يوم القيامة.

ونحن - أهل السنة فى مصر - نجل آل البيت جميعاً إجلالاً خاصاً لقربهم من رسول الله. ومقاماتهم ومساجدهم فى مصر تأخذ وضعاً متميزاً من العناية كمسجد الإمام الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة وغيرهم.

ولكننا نفرق بين هذا الحب الدينى العاطفى وبين موضوع الحكم والسياسة. فهذا شىء وذاك شىء آخر.